الباب الرابع

حرب ٥ يونيو ١٩٦٧

الفصل الأول: الموقف السياسى والعسكرى قبل نشوب الحرب

الفصل الثانى: أحداث حرب ٥ يونيو ١٩٦٧

الفصل الثالث: معركة اللواء ١٤ مدرع مستقل

الفصل الأول
الموقف السياسى والعسكرى قبل نشوب الحرب

إن الحديث عن الجولة العربية الإسرائيلية الثالثة فى صيف ١٩٦٧ ، أو ما أسميناه فى وقتها بالنكسة يستدعى إلىّ نفس الإحساس بالمرارة والغضب مما حدث فى تلك الأيام السوداء فى تاريخ مصر بصفة عامة وتاريخها العسكرى على وجه الخصوص، ويود الإنسان لو يستطيع أن ينسى تلك الأيام، ولكن هيهات أن ننسى أقسى تجربة مر بها الجيش والشعب المصرى، ومع ذلك ورغم المرارة التى أشعر بها وأنا أكتب عن أحداث هذه الفترة إلا أننى كمن يعطى دواءً مرًا للعلاج أو الوقاية من مرض خطير، فتجربة يونيو ١٩٦٧ يجب أن تكون ماثلة أمامنا جميعًا على الدوام، فهى تعطى المثال الصريح عما يمكن أن يحدثه الإهمال والتخبط والقرارات العشوائية.

إن الهزيمة التى تلقتها الجيوش العربية فى حرب ١٩٤٨ كان لها ما يبررها كما قلت، واحتلال إسرائيل لسيناء فى حرب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ كان فى الحقيقة قرارً سياسيًا وعسكريًا حكيمًا، تنازلت فيه القيادة عن الأرض فى المعركة ضد إسرائيل، فى سبيل المحافظة على الجيش والسيادة على قناة السويس وربما استقلال مصر فى مواجهة جيوش وأساطيل دولتين عظميين، هما إنجلترا وفرنسا، وكانت بداية العمل السياسى الناجح الذى تمكنت به القيادة السياسية من تحويل الهزيمة العسكرية إلى نصر سياسى.

أما هزيمة ١٩٦٧ فقد جاءت بلا مبرر، وعلى عكس آمال الشعب المصرى والشعوب العربية، ففى عام ١٩٦٧ كانت القيادة وطنية، والجيش كبير العدد جيد التسليح، وهو ما افتقدناه فى حربى ١٩٤٨ و١٩٥٦ ، إذن ما الذى حدث، وأدى إلى هذه البقعة السوداء فى التاريخ العسكرى للجيش المصرى ؟

هذا ما سوف أحاول أن أصل إليه فى الصفحات التالية التى تتحدث عن حرب ١٩٦٧ بحلوها ومرها، بما يعرفه الجميع، وما كتب فى الصحف والكتب، وما لا يعرفه أحد، ولم يناقش، أو يكتب عنه، أو يأخذ حقه من التوضيح فى وسط سحابات الدخان وأصوات الغضب التى لم تر إلا النهاية الحزينة للجيش المصرى الذى استغرق إعداد وتدريبه أحد عشر عامًا متصلة من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٧.

التطورات والأحداث فى الفترة من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٧:

مما لاشك فيه أن حكومة الثورة بقيادة جمال عبد الناصر قد أدارت أزمة السويس (حرب العدوان الثلاثى) منذ بداية ظهور بوادرها، وحتى نهاية جميع آثارها بتوفيق كبير يصل إلى حد المعجزة فى ظل حداثة عهد جمال عبد الناصر ورفاقه فى الحكومة بإدارة العمل السياسى والعسكرى على هذا المستوى.

ومما لاشك فيه أيضًا أن النجاح الذى أحرزته حكومة الثورة فى إدارة الأزمة فى عام ١٩٥٦ قد وضع مصر وعبد الناصر فى موقف القائد والبطل القومى، وهو ما أحسن عبد الناصر استغلاله، ودعم موقفه عربيًا وعالميًا خاصة فى مجموعة دول عدم الانحياز، وفى العلاقة مع الكتلة الشرقية (فى ذلك الوقت). ورغم محاولاته الإبقاء على علاقات جيدة مع الغرب خاصة الولايات المتحدة الأمريكية إلا أن الاتجاه المصرى إلى الاتحاد السوفييتى ودول الكتلة الشرقية لتدبير السلاح والتدريب كان عائقًا لنجاح الجهود التى بذلت فى هذا الشان.

وجاءت الوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨ تتويجًا للنجاح المصرى فى العمل القومى العربى، وأصبحت مصر قائدة الأمة العربية، وأصبح جمال عبد الناصر هو بطل الأمة العربية وقائدها، بل إنه أصبح واحدًا من أبرز زعماء حركة عدم الانحياز مع الرئيس الهندى نهرو والرئيس اليوغسلافى تيتو، وأصبحت مصر رائدة من رواد الدعوة إلى عدم الانحياز والتحرر من التبعية، واستقلال الشعوب وسيادتها على أراضيها ومصائرها.

ولم تكن الأجواء العربية مؤهلة جميعها لاستيعاب هذه التوجهات خاصة النظم الملكية التى كانت ترى فى جمال عبد الناصر وآرائه التحررية الاشتراكية رسالة

خطيرة موجهة إلى شعوبها، ومن ثم تعاملت تلك النظم بحذر مع التوجهات المصرية بزعامة جمال عبد الناصر، كما أن النظم التى تعتمد فى قيامها واقتصادها على المعونة الأجنبية أو الدعم والحماية الغربية لم تستطع أيضًا أن تستوعب بسهولة نفس التوجهات.

وتطلع العالم الغربى إلى مصر والوطن العربى بقلق طوال الفترة من نهاية حرب ١٩٥٦، وحتى الانفصال مع سوريا فى ١٩٦١، ولم تنحسر نظرة القلق إلا مع بداية تورط مصر فى اليمن فى ١٩٦٢ لدعم الثورة اليمنية، وتدهور العلاقات مع العديد من النظم العربية، خاصة النظم الملكية كما فى السعودية والأردن، والنظم الحزبية كما فى العراق وسوريا، والنظم ذات الميول الغربية، كما كان فى لبنان إلى الشكوى للجامعة العربية وحتى لمجلس الأمن ممَّا أسموه بالتدخل المصرى فى الشئون الداخلية للبلاد من خلال دعمها للجماعات الناصرية أو المتشبعة بالفكر الناصرى، بل إن الأمر قد تعدى ذلك إلى طلب الحماية من الدول الغربية، فنزلت القوات البريطانية؛ لحماية الملك حسين فى الأردن، ونزلت القوات الأمريكية لحماية الرئيس كميل شمعون فى لبنان.

وحتى سوريا قدمت شكوى لجامعة الدول العربية من تدخل مصر فى شئونها الداخلية، وعلى صعيد الجزيرة العربية تفاقمت الخلافات مع السعودية حتى وصلت إلى ذروتها بالتدخل العسكرى المصرى فى اليمن؛ لحماية ودعم الثورة اليمنية على نظام الإمامة، وهو ما اعتبرته السعودية موجها ضدها، ومن ثم احتضنت ودعمت جيش الإمام ضد جيش الثورة المدعم بالجيش المصرى.

وخلاصة القول إن تلك الفترة قد شهدت نزاعًا على الزعامة بين مصر والأنظمة العربية ذات القوة كالسعودية والعراق وسوريا مما أحدث شروخًا فى النسيج السياسى للوطن العربى، زادها عمقا التوجهات الشخصية والحزبية والمصالح المشتركة أو المتعارضة .

ولم يكن من السهل علي جمال عبد الناصر الذى ذاق طعم النجاح والزعامة فى نهاية الخمسينيات أن يتقبل انكسار الانفصال مع سوريا ووقوف الأردن ولبنان وسوريا ضد الفكر الناصرى، فبدأت الحروب الإعلامية التى زادت الشروخ اتساعًا.

وكان للتورط المصرى فى اليمن أثر كبير على كفاءة الجيش المصرى، وكما شاهدت بنفسى فى زيارة لليمن لمدة ١٠ أيام، فقد أثرت طبيعة الحرب فى المناطق الجبلية ضد مجموعات صغيرة من المنشقين (الملكيين)على تدريب الجيش وتجهيزه لإدارة العمليات الكبيرة على مسارح العمليات الواسعة، كما عودت الوحدات والقادة على عمليات دفاعية طويلة فى انتظار إغارة أو هجوم مفاجئ بمجموعات غير تقليدية عبر الجبال أو عمليات هجومية متفوقة يتم فيها اكتساح القرى المسئولة عن الغارات أو مواقع القوات الملكية الضعيفة، مما أعطى انتصارات زائفة لفرق القوة والتسليح ، وبالتالى استهلكت العمليات فى اليمن جزءًا كبيرًا من الميزانية التى كانت مخصصة للجيش بدلاً من أن توجه إلى رفع مستوى التسليح والتدريب وتجهيز مسرح الحرب الحقيقية فى سيناء للجولات القادمة مع العدو التقليدى فى ذلك الوقت: إسرائيل.

وعلى الجانب الآخر فى إسرائيل:

فإنها لم تقنع بما خرجت به من مكاسب فى حرب ١٩٥٦ فإذا كان تمركز قوات الطوارئ الدولية فى شرم الشيخ قد ضمن للسفن الإسرائيلية الملاحة الحرة عبر مضيق ثيران على مدخل خليج العقبة إلى ميناء إيلات، وهو الميناء الإسرائيلى الوحيد على البحر الأحمر، إلا أن الملاحة عبر قناة السويس كانت لاتزال فى حكم المستحيل، كما كان الموقف العربى حولها مازال يضمر لها العداء، وفى الوقت الذى بدأ الجيش المصرى فى تطوير قوته وقدرته برزت الخلافات العربية وتعمقت، وانتهزت إسرائيل الفرصة وبدأت فى مشروع تحويل نهر الأردن، وبالطبع اجتمع القادة العرب وقرروا تحويل اثنين من روافد نهر الأردن إلى نهر الليطانى ونهر اليرموك، كما قرروا وضع قوات عربية تحت ما سمى بالقيادة العربية الموحدة.

إلا أن إسرائيل استمرت فى مشروعها واجتمع القادة العرب مرة أخرى لاتخاذ قرارات بسرعة تنفيذ قرار التحويل السابق، ولكن نظرًا للتناقضات والخلافات العربية لم يكن لهذه القرارات التأثير المطلوب كما لم يتم التنفيذ بالمعدل المناسب.

وكان من أهم الدروس المستفادة التى خرجت بها إسرائيل من حرب ١٩٥٦ أنها

يجب أن تعتمد على قوتها فى شن الحرب على الدول العربية، ولا يجب أن تتحالف مع الدول الكبرى فى العمليات العسكرية حتى لا تظهر فى صورة الذيل، وفى الوقت نفسه لا تضطر إلى الالتزام بما تلتزم به الدول الكبرى من قرارات المجتمع الدولى.

ولم تمر الشهور التى أمضتها القوات الإسرائيلية فى سيناء عشية حرب ١٩٥٦ وحتى الانسحاب منها فى مارس ١٩٥٧ هباءً، بل إنها استغلتها لإجراء العديد من الدراسات والاستطلاعات الجادة لمسرح العمليات، ووصلت إلى نتائج عديدة قامت بدمجها مع خبرتها فى الحرب ضد القوات المصرية، فأصبح لديها أسلوب ومفاهيم قتال واضحة وعملية عن كيفية هزيمة الجيش المصرى فى سيناء.

وبالتالى انصبت الجهود الإسرائيلية فى الفترة نفسها على تقوية الجيش الإسرائيلى كمًا ونوعًا وتحويله إلى جيش متحرك أساسه القوات المدرعة والميكانيكية، كما وجهت اهتمامًا خاصًا إلى قواتها الجوية فدعمتها بالطائرات الحديثة ذات المدى البعيد والحمولة الكبيرة من التسليح.

وازدادت العلاقات الإسرائيلية الأمريكية قوةً ورسوخًا، وأصبحت أمريكا بمثابة الحليف الدائم لإسرائيل، والمورد الأكبر لأسلحة القوات البرية والطائرات الحربية.

وخلال تلك الفترة لم تتوقف المصادمات عبر الحدود والإغارات الفدائية من جماعة فتح الفلسطينية، والإغارات الانتقامية من الجانب الإسرائيلى ضد الأردن وسوريا ولبنان الذين لم يجدوا بدًا من مطاردة الفدائيين والقبض عليهم؛ ليتجنبوا الاعتداءات الإسرائيلية.

وكان من أشهر غارات إسرائيل تلك الغارة التى نفذتها على قرية السموع الأردنية فى يوم ١٣ نوفمبر ١٩٦٦، وفى ٧ أبريل ١٩٦٧ قامت الطائرات الإسرائيلية بالإغارة على ضواحى دمشق ردًا على فتح المدفعية السورية النيران على سكان المستعمرات أثناء قيامهم بجنى المحصول.

وكانت الإغارة على ضواحى دمشق، ثم المعركة الجوية مع الطائرات السورية

ليلاً بداية لمرحلة التوتر التى انتهت بحرب ١٩٦٧ ، ويعتقد البعض أن يوم ٧ أبريل كان اختباراً إسرائيليّا لقوة الدفاعات الجوية والطيران السورى الذى فقد ٦ طائرات فى المعركة ، ورسب فى الاختبار ، وبالتالى بدأت إسرائيل فى تصعيد التوتر ، وبحلول شهر مايو ١٩٦٧ تصاعدت التهديدات الإسرائيلية لسوريا حتى وصلت إلى حد التهديد باحتلال دمشق نفسها .

وأبلغ الاتحاد السوفييتى كلاّ من مصر وسوريا بأن إسرائيل تنوى توجيه هجوم خاطف إلى سوريا ، وربما كان يحاول دفع مصر إلى إعلان استعدادها للحرب الأمر الذى قد يردع إسرائيل عن نيتها عندما أعلن عن وجود حشودٍ إسرائيلية فى مواجهة سوريا .

ودون تدقيق لمسالة وجود حشود إسرائيلية أمام الحدود السورية ، تم رفع درجة استعداد القوات المسلحة المصرية إلى الحالة الكاملة ، وأعلنت التعبئة .

تطورات الأحداث من ١٤ مايو إلى ٤ يونيو ١٩٦٧:

فى صباح يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ صدرت التعليمات من القيادة العامة للقوات المسلحة برفع درجة استعداد القوات وإعلان التعبئة ، وحددت التعليمات يوم ١٧ مايو ؛ لإتمام احتلال وتمركز التشكيلات والوحدات فى أوضاعها بسيناء ومنطقة القناة طبقا للخطة الدفاعية (قاهر) ، وكانت توجيهات المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة قد حملت فى طياتها بداية الخروج عن الخطة الدفاعية الموضوعة التى تدربت القوات عليها ، حيث نصت على استعداد القوات فى سيناء لتنفيذ عمليات هجومية محدودة فى اتجاه رفح والعوجة ، كما نصت على نقل المجهود الرئيسى للقوات البحرية إلى البحر الأحمر بدلاً من البحر المتوسط واستعداد القوات البحرية أيضًا لتنفيذ عمليات هجومية بواسطة لنشات الصواريخ ، ومع ذلك فقد خفضت القوات المخصصة للخطة الدفاعية بحوالى لواء مشاه .

وبدأت القوات فى الفتح والتحرك إلى مواقعها ، وسرعان ما بدأت تظهر مشاكل ضعف الحالة الفنية للعربات والمركبات ، وضعف كفاءة عناصر السيطرة على الطرق ومحاور التحركات .

وفى الوقت نفسه بدأت التعديلات فى أوضاع القوات فى الخطة الدفاعية تتوالى وبالتالى كانت التحركات تتم فى وضح النهار، وتحت أنظار عناصر استطلاع العدو وجواسيسه.

وفى الوقت الذى كان الجيش المصرى مستمرًا فى الفتح الاستراتيچي والتعبوى على جبهة سيناء، أثبتت زيارة الفريق أول محمد فوزى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية إلى سوريا وتقارير المخابرات والصور الجوية السورية عدم وجود حشود أمام الجبهة السورية، ورغم ذلك أصمت القيادة العامة آذانها، واستمرت فى أعمال الفتح والتغيير فى الخطة، وبالتالى التغيير فى أوضاع القوات، كما قامت بإنشاء وحدات جديدة، وحولت وحدات عاملة إلى وحدات احتياطية، ودفعت بها إلى سيناء.

وبعد صدور قرار الأمم المتحدة بسحب القوات الدولية يوم ١٦ مايو الساعة ٢٢٠٠ بناءً على طلب مصر وإحلال القوات المصرية بدلاً منها سواء على نقط الحدود أو فى شرم الشيخ على خليج العقبة، وما أعقبه من إغلاق خليج العقبة أمام السفن الإسرائيلية، أصبح الموقف متفجرًا بصورة خطيرة، حيث أعلنت القيادة الإسرائيلية أن إغلاق خليج العقبة يعتبر إعلانًا للحرب على إسرائيل، وبذلك أصبح لدى إسرائيل المبرر لشن العدوان، وكان يوم ٢٣ مايو الذى أعلن فيه هذا القرار هو اليوم نفسه الذى اتخذت حكومة إسرائيل فيه قرار الحرب.

وبدأت الحشود الإسرائيلية فى الظهور على الجبهة المصرية والسورية، وأبلغت عناصر المخابرات فى تقاريرها أن الحشود الإسرائيلية أمام مصر تتمركز فى الشمال أمام رفح والعوجة، وتابعت هذه التقارير بدقة تزايد عدد اللواءات أمام الجبهة المصرية عنها أمام الجبهة السورية، كما تابعت أيضًا تحول هذه الألوية من الأغلبية المشاة إلى الأغلبية المدرعة كما رصدت، وأبلغت عن تحرك أسراب الطائرات وتمركزها فى المطارات الأمامية بصحراء النقب، بل إن عناصر المخابرات أبلغت أيضًا عن أعمال تشوين الذخائر فى المواقع الدفاعية أمام مصر وزيادة نشاط الاستطلاع الجوى والبحرى.

وفى الوقت المناسب أبلغت المخابرات عن بدء إسرائيل فى تعبئة لاحتياطى الخط الثانى، والذى يبلغ أربعة ألوية من المشاة.

ثم قامت القيادة العامة للقوات المسلحة بعمل عدة تغييرات فى قيادات التشكيلات المقاتلة اتسمت بالعشوائية والمجاملة لبعض الضباط وثيقى الصلة بالمشير عبد الحكيم عامر وشمس بدران وزير الحربية فى ذلك الوقت، وكان للتغيير فى القيادات - فى ذلك الوقت الحرج - أثر بالغ السوء على كفاءة القيادة لهذه التشكيلات أثناء الحرب.

وكان لوجود قيادة للجبهة ثم قيادة للمنطقة العسكرية الشرقية ثم قيادة الجيش وعدم وجود حدود واضحة أو تنسيق محدد للمهام والدور الذى تقوم به كل قيادة أثره الكبير فى زيادة مستوى التخبط الجارى فعلاً، وكان من المفروض أن تكون هذه القيادات هى صاحبة الحق فى وضع القرار طبقًا لتوجيهات القيادة العليا إلا أن هيئة عمليات القوات المسلحة تولت القسم الأكبر من مسئوليه وضع القرار دون استشارة أو وضع اعتبار لأى من هذه القيادات، ولسبب غير معروف سيطر على فكر القيادة العامة وهيئة العمليات اعتقاد أن الهجوم البرى الإسرائيلى سيكون من الاتجاه الجنوبى أى من اتجاه النقب والكونتلا ووواديا لصان والمعين جنوب القصيمة، رغم تقارير المخابرات التى أفادت بأن الحشود الإسرائيلية تتركز فى الشمال، وكانت القيادة العامة على يقين من أن إسرائيل ستحول قواتها إلى الجنوب ليلة الهجوم كما حدث فى حرب ١٩٥٦، حيث تمركز أحد الألوية الإسرائيلية أمام الأردن وخلال ليلة ٢٩ / ٣٠ تحرك إلى اتجاه الجبهة المصرية من الجنوب؛ ليلحق بكتيبة المظلات التى تم إسقاطها قبل آخر ضوء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ .

وانطلاقًا من فكرة أن إسرائيل تنوى الهجوم من الجنوب مالت الخطة إلى تركيز الجهود فى اتجاه إغلاق الطرق أمام القوات المتقدمة من الاتجاه جنوب القصيمة، وتم تخطيط ما سمى بالستارة المضادة للدبابات على الخط جبل الخرم - المطلة - بير المالح، بل وخطط للفرقة الرابعة المدرعة أن تعمل فى هذا الاتجاه.

وتوالى وضع الخطط الهجومية المحدودة، ثم إلغاؤها ثم تخطيط غيرها، ومع كل تخطيط تتحرك القوات، ويزداد الإرهاق، وتزداد الأعطال، وتقل الكفاءة الفنية.

وبدأت تقارير المخابرات تشير إلى زيادة نشاط القوات الإسرائيلية فى اتجاه الجنوب مما زاد من قوة مبررات القيادة العامة فى اعتقادها أن الهجوم الإسرائيلى سيكون من اتجاه الجنوب.

وبعد كل هذه التقارير المتضاربة والتحركات المستمرة والتغيير المستمر بين خطط دفاعية وخطط هجومية، كان لابد لقائد المنطقة الشرقية الفريق عبد المحسن كامل مرتجى أن يعيد تفهم المهمة، فتوجه إلى الفريق أنور القاضى، رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة واستفسر منه عن مهمة المنطقة بأوضاعها وشكلها الجديد، وما طرأ على الخطة الدفاعية (قاهر) من تغييرات، والعلاقات بين العمليات الهجومية المخططة وبعضها البعض، وبين تلك العمليات والعمليات الدفاعية، ولكنه لم يحظ بجواب شاف من رئيس هيئة العمليات، فعاد إلى مركز قيادته؛ ليتلقى الأوامر وينفذها أو فى الحقيقة يبلغها إلى من سينفذها، وفى بعض الأوقات كان يعلم بالتنفيذ بعد أن يتم من قادة الوحدات المكلفة مباشرة من هيئة العمليات بالمهام.

وبعد أن أعلن عن تشكيل وزارة حرب فى إسرائيل يوم ١ يونيو صدرت تعليمات القيادة العامة المصرية للمنطقة الشرقية باتخاذ أوضاع الدفاع على أساس أن الهجوم الإسرائيلى سيكون مركزًا فى اتجاه الجنوب، وبذلك تكون القيادة قد ابتلعت الطعم الذى شاركت منذ البداية فى إعداده، فقد بدأت القيادة العامة باقتناع بأن الهجوم الإسرائيلى سيكون من الجنوب، وذلك على الرغم من تقارير المخابرات التى أفادت مرارًا أن الحشود الإسرائيلية تتركز فى الشمال، وعندما بدأت إسرائيل فى تحركاتها الخداعية فى اتجاه الجنوب، كانت القيادة العسكرية على أتم الاستعداد لتأكيد اقتناعها السابق وتحويله إلى اليقين، ومن ثم التخطيط على أساسه.

وفى مساء ٢ يونيو اجتمع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بقادة القوات المسلحة، وعرض عليهم خلاصة الموقف السياسى، وأعلن أن مصر لن تبدأ الحرب، كما أعلن بوضوح أنه من المحتمل أن تقوم إسرائيل بالحرب الوقائية خلال ٢ ـ ٣ أيام وأكد على ضرورة الاستعداد لتلقى الضربة الجوية الأولى وامتصاصها، والرد بضربة مضادة.

وبناء على ذلك اتخذت القوات الجوية بعض الإجراءات؛ لإعادة تمركز بعض الطائرات من مطارات سيناء إلى مطارات القناة وهو ما يوضح أن القيادة العسكرية لم تكن على يقين بإمكان وصول الطائرات الإسرائيلية إلى المطارات الخلفية فى القناة والقاهرة.

أما القوات البرية التى تم إبلاغها باحتمال نشوب الحرب خلال ٢ ـ ٣ أيام فلم تتخذ إجراءات خاصة لمقابلة هذا التحذير الواضح من رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة، وربما لم يكن هناك ما تفعله سوى تنفيذ أوامر هيئة العمليات فى القاهرة.

وجاء تقرير المخابرات الذى يستبعد قيام إسرائيل بالهجوم فى الوقت الراهن وأنها تحسب حساب العواقب المترتبة على ذلك فى ظل الصلابة العربية الراهنة، والتى تمثلت فى دعم عسكرى عربى لكل من سوريا ومصر والأردن بعدة وحدات عسكرية من جيوش العراق والجزائر والكويت والمغرب والسودان.

وعلى الرغم من أن تقارير المخابرات قد أبرزت دفع الدبابات إلى خط الدفاع الأول فى الشمال، وأكدت الصور الجوية لمنطقة إيلات أن الموجود بها هو لواء مشاة إلا أن القيادة العامة استمرت فى تركيز جهودها على الاتجاه الجنوبى، واستعدت خططيّا لنصب مصيدة ضخمة للمدرعات الإسرائيلية المتقدمة على هذا الاتجاه، تمهيداً لتدميرها بالضربات المضادة بالوحدات والتشكيلات المدرعة المصرية فيما سمى آنذاك بالستارة المضادة للدبابات.

وتم تعيين قائد للستارة المضادة للدبابات، ووصل فعلاً يوم ٤ يونيو إلى قيادة المنطقة الشرقية وتفهم مهامه، وعند مروره على قوات الستارة فوجئ بانخفاض مستوى الكفاءة القتالية والتدريب وسوء موقف الإعاشة للأفراد الذين كان معظمهم من الاحتياطى المستدعى بالتعبئة.

واستكمالاً لسلسلة التقديرات الخاطئة والقرارات الغير مدروسة والاستخفاف الواضح بتحذير رئيس الجمهورية وتقارير المخابرات الحربية قرر المشير عبد الحكيم عامر زيارة قوات الستارة؛ لحضور تنظيم التعاون بين عناصرها، ثم التوجه بعد ذلك إلى قيادة الجبهة، وفى قرار يعكس مدى الخطأ فى قراءة وفهم الموقف السياسى والعسكرى ـ وربما عدم قراءته على الإطلاق ـ تقرر أن يصل المشير عبد الحكيم عامر إلى مطار تمادا الساعة ٩٠٠ يوم ٥ يونيو ١٩٦٧، وكان على قائد الجبهة وقائد المنطقة الشرقية ورئيس أركانه أن يكونوا فى استقباله.

وانشغلت قيادة الجبهة وقيادة المنطقة الشرقية بالإعداد للزيارة المهمة خاصة

استقبال المشير فى مطار تمادا، والذى حضره نحو ٢٨ قائداً وضابطًا من رتبة العميد إلى رتبة الفريق أول.

وهكذا انتهى يوم ٤ يونيو ١٩٦٧، وقد أتمت إسرائيل إعداد واستعداد قواتها لتنفيذ العملية الهجومية «ضربة صهيون» بينما كانت القوات المصرية على الجانب الآخر قد وصلت إلى مرحلة متقدمة من الإجهاد وانخفاض الكفاءة القتالية والفنية، والأخطر من ذلك أن الخطة الدفاعية «قاهر» كانت قد تشوهت وتعددت المهام، وتغيرت التمركزات، وأصبح هناك قادة جدد لم يمض عليهم فى تشكيلاتهم ووحداتهم أكثر من أيام، وتعددت اللواءات المشكلة من قوات الاحتياط الذى لم يتدرب بل لم يستكمل تسليحه أو صرف مهماته العسكرية.

وأصبح الشغل الشاغل لقيادة المنطقة الشرقية هو زيارة المشير عبد الحكيم عامر - نائب القائد الأعلى - للجبهة والإعداد الجيد للاستقبال فى مطار تمادا صباح ٥ يونيو.

ونام الجميع هذه الليلة بعد أن اطمأنوا إلى الاستعداد لزيارة المشير، وهم لا يعلمون أن القوات المسلحة المصرية قد أصبحت وليمة على طبق من الفضة، جاهزة للالتهام فى الصباح الباكر، مسجلة أسوأ هزيمة عسكرية فى تاريخ الجيش المصرى على مر العصور.

أوضاع القوات المصرية فى سيناء صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧:

نطاق الأمن:

ويتشكل على طول الحدود بين مصر وإسرائيل، من رأس النقب جنوبًا إلى رفح شمالاً، ويتكون من عناصر حرس الحدود والاستطلاع والقوات الخفيفة، ومهمته هى الاستطلاع والإنذار والقتال التعطيلى.

النطاق الدفاعى الرئيسى، ويتكون من نطاقين دفاعيين:

النطاق الدفاعى الأول: وهو المكلف بصد الهجوم الإسرائيلى ومنعه من الاختراق واحتوائه فى العمق وتجهيز الموقف؛ لتدمير القوات المخترقة بالضربات المضادة التى توجهها قوات النطاق الدفاعى الثانى، وكانت أوضاع القوات عليه كالآتى:

* قطاع الكونتلا ـ جبل الأحيجبة (جنوب القصيمة) :

وتحتله فرقة مشاة ولواء مدرع .

* قطاع القصيمة ـ أم قطف .

وتحتله فرقة مشاة عدا حوالى لواء مشاة وحوالى لواء مدرع .

* قطاع رفح :

وتحتله فرقة مشاة عدا لواء ومعها كتيبة دبابات .

النطاق الدفاعى الثانى : وهو المكلف إما بتوجيه الضربات المضادة لتدمير القوات التى اخترقت النطاق الدفاعى الأول ، والتى أمكن إيقاف تقدمها فى عمقه ، أو التعاون مع قوات النطاق الدفاعى الأول ؛ لإيقاف القوات التى تمكنت من الاختراق وتجهيز الموقف لتدميرها بواسطة الاحتياطيات الميكانيكية والمدرعة المتمركزة فى العمق .

وكانت أوضاع القوات على النطاق الدفاعى الثانى كالآتى :

* من التمد حتى مدخل وادى عقابة .

يحتله لواء مشاة وفوج سيارات حرس حدود .

* من جبل المطلة إلى جبل الخرم (الستارة المضادة للدبابات) :

يحتلها لواء مشاة عدا كتيبة ولواء مشاة احتياط ، عدا كتيبة وعدد ٢ كتيبة دبابات ووحدات مدفعية مضادة للدبابات .

* من جبل الخرم إلى جبل الأبيرق (جنوب جبل الحلال) :

لواءان من المشاة ولواء مدرع .

* جبل الحلال ـ جبل لبنى :

قيادة فرقة مشاة ومعها لواء مشاة .

* بير لحفن ـ العريش :

يحتله لواء مشاة احتياط وكتيبة مشاة ولواء حرس وطنى ، عدا كتيبة .

العمق الدفاعى التعبوى : ويتكون أيضا من نطاقين تعبويين .

* **النطاق التعبوى الأول :** ويمر بالمداخل الشرقية للمضايق الجبلية .

ويحتل بواسطة لواء مشاه احتياط وكتيبة مشاة احتياط .

* **النطاق التعبوى الثانى :** ويمر بالمداخل الغربية للمضايق الجبلية .

ولم يجهز هندسيًا ، ولم تخصص له قوات .

ومن الواضح أن مهمة هذين النطاقين فى العمق التعبوى كانت التمسك والدفاع عن المضايق الجبلية للمحافظة على حرية الحركة بين المنطقة شرق الحائط الجبلى وغرب الحائط الجبلى .

الاحتياطيات التعبوية :

وكانت تتكون من ٢ احتياطى تعبوى تتركز مهمتهم فى توجيه الضربات المضادة لتدمير العدو المخترق والمتوقف فى عمق النطاق الدفاعى الأول أو الثانى ؛ لاستعادة الأوضاع الدفاعية كالآتى :

* **الاحتياطى التعبوى رقم ١ :**

ويتكون من اللواء ١٤ المدرع المستقل ، ويتمركز جنوب الحسنة (وقد كنت قائد هذا اللواء أثناء العمليات) .

* **الاحتياطى التعبوى رقم ٢ :**

ويتكون من اللواء ١١٢ المشاة ، ويتمركز شمال الحسنة (وكان فى وقتٍ من فترة ماقبل الحرب جزءًا من الاحتياط التعبوى رقم ١) .

احتياطى القيادة العامة :

وكان عبارة عن الفرقة الرابعة المدرع ، وكانت تتمركز شمال بير تمادا ، وكان عليها أن توجه الضربة المضادة لاستعادة الموقف على النطاق الدفاعى الثانى أو الأول أو

تكلف بمهام تعرضيه (هجومية) لاستغلال نجاح الضربات المضادة بالاحتياطيات التعبوية .

الخطة الهجومية الإسرائيلية (الخريطة رقم ١٠):

بنيت الخطة الهجومية الإسرائيلية على سيناء على أساس نجاح خطة الخداع الإسرائيلية فى جذب معظم القوات المصرية إلى الاتجاه الجنوبى من سيناء الذى يمكن إغلاقه من الغرب باحتلال المضايق الجبلية ، كما بنيت هذه الخطة على أساس نجاح الضربة الجوية الإسرائيلية فى إقصاء القوات الجوية المصرية عن المعركة ، وبالتالى الانفراد بالقوات البرية فى سيناء ، وتصفيتها بالتعاون مع القوات المدرعة والميكانيكية وقوات المظلات ، وبالتالى الاستيلاء على سيناء وتأمين الملاحة فى خليج العقبة كهدف أساسى للخطة .

وقد خططت القيادة الإسرائيلية لتنفيذ خطتها فى مراحل ثلاث كالآتى:

*** المرحلة الأولى :**

ويتم خلالها الاختراق السريع للدفاعات المصرية فى الاتجاه الشمالى والأوسط بالتركيز على النقاط الضعيفة وتجنب التورط فى قتال طويل مع استخدام قوات المظلات ؛ للاستيلاء على التقاطعات المهمة وتدمير مواقع المدفعية المؤثرة ، وتهدف هذه المرحلة إلى سرعة الوصول إلى الخط العام : العريش - بير لحفن - شرق الحسنة ، وفى الوقت نفسه تقوم القوات أمام الاتجاه الجنوبى بأعمال تظاهرية بغرض إيهام القوات المصرية بأهمية هذا الاتجاه ، وبالتالى يتم تثبيت القوات المصرية فى النسق الأول فى المحور الشمالى والأوسط ، نتيجة ارتباك القيادات لوصول القوات إلى مؤخرتها ، ويتم تثبيت القوات فى الاتجاه الجنوبى نتيجة استمرارها فى الاستعداد لمواجهة الهجوم الرئيسى المحتمل من هذا الاتجاه .

*** المرحلة الثانية :**

ويتم فيها الانطلاق إلى مؤخرة الدفاعات المصرية باستغلال ضعف القوات على النطاق الدفاعى الثانى ، وتشتت وضعف الاحتياطيات ، ثم الاستيلاء على المداخل

الشرقية للمضايق، وحجز القوات المصرية شرق المضايق، وفى الوقت نفسه يتم نقل الجهود الرئيسية فى اتجاه الجنوب؛ لتدمير القوات المصرية أمام خط المضايق.

*** المرحلة الثالثة:**

ويتم خلالها تدمير القوات المصرية المجمعة أمام المضايق بالقوات الجوية أساسًا وبالقوات المدرعة فى معارك محدودة؛ لإتمام هزيمة الجيش المصرى.

أما الوصول إلى قناة السويس واحتلال الضفة الشرقية للقناة فقد أضيفت إلى أهداف الهجوم بعد انسحاب القوات المصرية من سيناء والذى بدأ اعتبارًا من اليوم الثانى للعمليات.

وقد بدأت حرب ١٩٦٧ بتوجيه إسرائيل ضربة جوية مركزة إلى القوات الجوية المصرية والدفاع الجوى ومراكز القيادة، والاتصال، ونجحت هذه الضربة فى تدمير معظم الطائرات المصرية، وتعطيل معظم القواعد الجوية والمطارات، ورغم البطولات التى أبداها الطيارون فى محاولة التصدى للهجوم الجوى الإسرائيلى إلا أن الدقائق الأولى للضربة الجوية كانت حاسمة، ومع توالى الموجات من الطائرات المهاجمة **انتهى تقريبا دور القوات الجوية المصرية فى هذه الحرب إلا من بعض الطلعات التى قام بها الطيارون الشجعان لمعاونة بعض التشكيلات البرية وحمايتها، أو لنقل الطائرات إلى أماكن تمركز بعيدة لإنقاذها من التدمير، كما فعل الرئيس محمد حسنى مبارك، حيث كان آنذاك قائدًا لسرب من القاذفات الثقيلة، الثمينة،** ومع ظهور بوادر نجاح الضربة الجوية انطلقت القوات البرية الإسرائيلية إلى أهدافها لتنفيذ الخطة الموضوعة للاختراق والتوغل إلى سيناء، ولم تكن المهمة سهلة، رغم كل ما ذكرناه عن الاستعداد والتصميم الإسرائيلى والتخبط والتشتت المصرى فى مرحلة ما قبل الحرب، فقد قاتلت ببسالة قوات رفح ضد قوات تفوقها عددًا وعدة وتتمتع بالمعاونة الجوية، وقاتلت أيضا قوات «أبو عجيلة» ببسالة، وكذلك فعلت قوات القصيمة والكونتلا.

وتمكنت القوات من صد الهجوم الأول للقوات الإسرائيلية، وارتدت على أثره تلك القوات، وتدخلت القوات الجوية الإسرائيلية، المنفردة بالسيطرة على سماء المعركة؛ لتنزل الخسائر بوحدات المدفعية والدبابات ومراكز القيادة، وتمهد للهجوم

الثانى للقوات الإسرائيلية، وعلى الرغم من النجاحات التى أحرزتها القوات الإسرائيلية فى اليوم الأول للقتال واليوم الثانى للقتال، إلا أنها كانت مكلفة، فقد خسرت العديد من الأفراد والأسلحة والمعدات، وكانت العملية لا تزال فى نطاق المرحلة الأولى، وكان الطريق مازال طويلاً أمام القوات الإسرائيلية رغم نجاحها فى الاختراق.

ثم جاء أمر القيادة العامة المصرية بانسحاب القوات من سيناء يوم ٦ يونيه الساعة ٢٠٠٠ ؛ ليفتح الطريق على مصراعيه أمام القوات الإسرائيلية؛ لاستكمال تنفيذ الخطة الهجومية وتطويرها إلى الوصول إلى الضفة الشرقية لقناة السويس.

وفى الصفحات التالية سنعرض تفصيلاً لسير عمليات ٥ يونيو ١٩٦٧ ؛لنتعرف من خلالها على أعمال قتال القوات المصرية فى تلك الحرب، وأترك للقارئ أن يجيب على هذا السؤال التاريخى:

هل كان من الضرورى إصدار الأمر بانسحاب الجيش المصرى من سيناء إلى غرب القناة ؟

ثم سأعرض بعد ذلك تفصيلاً لتحركات وأعمال قتال اللواء ١٤ المدرع المستقل، الذى كنت أتشرف بقيادته فى هذه الحرب، كمثال عما قامت به بعض وحدات الجيش المصرى فى هذه الحرب اعتباراً من يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ وحتى صدور وتنفيذ القرار المشئوم بانسحاب الجيش المصرى من سيناء إلى غرب القناة.

* * *

الفصل الثانى
أحداث حرب ٥ يونيو ١٩٦٧

فى تمام الساعة ٨٤٥ من صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ بدأت القوات الجوية الإسرائيلية فى توجيه ضربة جوية مركزة مفاجئة إلى القواعد الجوية والمطارات المصرية ومحطات الرادار. **وفى خلال ١٥٠ دقيقة نجحت الطائرات الإسرائيلية فى تدمير معظم القوات الجوية المصرية، وأخرجتها تقريبًا من المعركة تاركة القوات البرية المصرية فى سيناء تحت رحمة الطيران الإسرائيلى مبكرًا.**

وبظهور بوادر نجاح الضربة الجوية، وفى الساعة ٠٩١٥ بدأ التمهيد النيرانى من الطيران والمدفعية على مواقع الماسورة وكرم بنى مصلح وأم قطف والقصيمة والكونتلا، ثم انتقل ضرب المدفعية الإسرائيلية إلى مواقع المدفعية المصرية فى النطاق الدفاعى الأول، ثم تقدمت ثلاث مجموعات عمليات إسرائيلية تحت ستر التمهيد النيرانى، على المحورين الشمالى والأوسط فى سيناء، فى الوقت الذى كانت القوات الإسرائيلية تقوم بالهجوم التثبيتى على الدفاعات المصرية فى المحور الجنوبى فى اتجاه الكونتلا.

وبعد نحو أربع وعشرين ساعة من بدء الهجوم، نجحت القوات الإسرائيلية المدرعة تحت ستر ومعاونة السيادة الجوية الكاملة على سماء المعركة فى اختراق النطاق الدفاعى الأول على المحورين الشمالى والأوسط.

فى الساعة ١٧٠٠ يوم ٦ يونيو ١٩٦٧، أصدر المشير عبد الحكيم عامر، نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، أمرًا إلى قائد المنطقة العسكرية الشرقية الفريق عبد المحسن كامل مرتجى، بانسحاب كافة القوات خلال نفس ليلة ٦/ ٧ يونيو إلى غرب القناة، مما كان له أثر كبير فى تسهيل مهمة القوات الإسرائيلية؛ لتنفيذ خطتها الطموحة

فى سرعة الاستيلاء على مضايق متلا والجدى وحصر القوات المنسحبة أمام مداخلها الشرقية وتدميرها بالطيران والمدرعات والوصول إلى قناة السويس يوم ٩ يونيو .

وقد سارت العمليات خلال حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ فى مرحلتين رئيسيتين:

* **المرحلة الأولى،** وتم خلالها اختراق الدفاعات المصرية فى النطاق الدفاعى الأول وفى منطقة العريش وبَدْء القتال على النطاق الدفاعى الثانى، واستغرقت يومى ٥، ٦ يونيو .

* **المرحلة الثانية،** وتم خلالها التقدم والاستيلاء على المضايق ثم الوصول إلى الضفة الشرقية للقناة، واستغرقت أيام ٧، ٨، ٩ يونيو .

ومع اتساع جبهة سيناء سأتحدث عن سير العمليات خلال المرحلتين السابقتين بالمحاور الرئيسية فى سيناء، حتى يمكننا متابعة أعمال قتال القوات المصرية خلال تلك الحرب .

المرحلة الأولى:

محور رفح - العريش:

خططت القيادة الإسرائيلية للهجوم على رفح، متبعة أسلوب الاقتراب غير مباشر من الأجناب إلى مؤخرة الدفاعات مع شغل المواجهة وتثبيتها، فتمثلت الخطة الإسرائيلية فى القيام بهجوم تثبيتى بالمواجهة مع الالتفاف على الجانب الأيمن لموقع اللواء ١١ المشاة والجانب الأيسر للواء ١٦ المشاة من جهة البحر المتوسط مركزاً مجهوده الرئيسى على الجانب الأيسر .

وفى الساعة ٩٤٥ صباح يوم ٥ يونيو، وبمعاونة القوات الجوية، بدأت مجموعة العمليات الإسرائيلية الشمالية الهجوم على مواقع الفرقة ٧ المشاة فى منطقة رفح، وفشل العدو فى اختراق الجانب الأيمن للفرقة بينما تمكن من اختراق مواقع اللواء ١٦ المشاة حوالى الساعة ١٤٣٠ وتابع تقدمه فى اتجاه الشيخ زويد، وبذلك أصبح الجانب الأيسر للواء ١١ المشاة مكشوفاً .

وفى حوالى الساعة ١٦٠٠ تمكن العدو من الالتفاف حول الجانب الأيمن للفرقة وقام بقصف مرابض نيران المدفعية من الخلف، وبعد قتال عنيف، تمكنت القوات

الإسرائيلية من الاستيلاء على المنطقة فى الساعة ١٨٤٠ من اليوم نفسه، وارتدت وحدات الفرقة السابعة المشاة على المحور الساحلى، وقامت القوة الإسرائيلية بدفع حوالى سريتى دبابات من المنطقة غرب الشيخ زويد على الساحل وصلت إلى مشارف العريش فى الساعة ١٨٥٠ يونيو، متجنبة المواقع الدفاعية المصرية.

الساعة ٠٩١٥ تقدم لواء مدرع من مجموعة العمليات الوسطى من اتجاه المحور الأوسط فى اتجاه منطقة بير لحفن عبر وادى حريضين والأزارق فى منطقة مكسر الفناجيل الذى كان يعتبر مانعًا طبيعيًا يصعب عبوره بالدبابات والمعدات الثقيلة، غير أن القيادة الإسرائيلية كانت قد أجرت دراساتها على هذه الوديان أثناء احتلالها لسيناء إبان حرب العدوان الثلاثى ١٩٥٦، وتبين لها أنه من الممكن اجتيازها بالتحرك البطىء وبنوعيات خفيفة من العربات والمجنزرات. وحوالى الساعة ١٨٠٠ مساء يوم ٥ يونيو كان اللواء المدرع الإسرائيلى قد استطاع أن يجتاز الوادى، ثم تقدم إلى طريق العريش ـ بير لحفن المؤدى إلى «أبو عجيله» والحسنة واعتبارا من الساعة ٢٠٠٠ كان اللواء المدرع الإسرائيلى قد أعد كمينًا للقوات المصرية التى تتحرك فى اتجاه مدينة العريش.

أمر قائد المنطقة العسكرية الشرقية بتقدم اللواء ١٤١ المدرع واللواء ١١٢ المشاة بقيادة اللواء عثمان نصار إلى العريش؛ لتوجيه هجوم مضاد إلى القوات الإسرائيلية التى نجحت فى الوصول إلى مشارف المدينة، إلا أن اللواء المدرع الإسرائيلى تصدى فى الساعة ٠٤٠٠ يوم ٦ يونيو للقوة المصرية فى المنطقة جنوب بير لحفن، ومنعها من التقدم إلى العريش، وتمكن من إيقافها على المحور الضيق الذى تحيط به الرمال من الجانبين وفور انبلاج صباح يوم ٦ يونيو ظهرت الطائرات الإسرائيلية، وتعرضت القوة المصرية للقصف المركز بالطيران الإسرائيلى، وانسحب اللواءان المصريان الساعة ٠٩٠٠ يوم ٦ يونيو فى اتجاه جبل لبنى بعد إصابتهما بخسائر كبيرة، مما سهل مهمة مجموعة العمليات الشمالية الإسرائيلية لاقتحام مدينة العريش، والاستيلاء على مطار العريش، وتجهيزه للاستخدام بواسطة الطيران الإسرائيلى.

الهجوم على العريش (من اتجاه النطاق الدفاعى الثانى):

فى الساعة ٠١٠٠ يوم ٦ يونيو اخترقت قوات المشاة والمدرعات الإسرائيلية

المواقع الدفاعية للكتيبة ٣٦ المشاة فى الهيئة ٣٨ فى بير الجرادى وحوالى الساعة ٠٥٠٠ نجحت القوات الإسرائيلية فى الاستيلاء على مواقع قوات اللواء ١٢١ المشاة، الذى كانت تدافع عن العريش، ودخلت القوات الإسرائيلية إلى مدينة العريش، حيث بدأت قتالاً عنيفًا فى شوارع المدينة ضد قوات المقاومة والعناصر المرتدة من الفرقة ٧ المشاة.

دفع العدو لواءً مدرعًا فى اتجاه الجنوب، واستولى على بير لحفن بعد اشتباك مع المدرعات المصرية، واتصل باللواء المدرع الإسرائيلى من مجموعة العمليات الوسطى واتجه اللواءان إلى جبل لبنى، حيث النطاق الثانى التكتيكى للقوات المصرية المدافعة فى سيناء.

وفى الوقت نفسه دفعت مجموعة العمليات الشمالية قوة من المظلات والمدرعات على الطريق الساحلى؛ للاستيلاء على مضيق المزار على المحور الساحلى ثم التقدم نحو القنطرة.

واعتباراً من الساعة ١٢٠٠ يوم ٦ يونيو بدأت إسرائيل فى نقل الجهد الرئيسى للهجوم إلى المحور الأوسط، واشتركت كل من المجموعة الشمالية والوسطى فى القتال على هذا المحور.

الهجوم على «أبو عجيلة» والقصيمة:

فى الساعة ٠٩١٥ يوم ٥ يونيو تقدمت مجموعة العمليات الجنوبية على طريق العوجة فى اتجاه أم قطف مع قيامها بعزل دفاعات القصيمة، ثم مهاجمتها فيها بعد من الخلف.

اندفع اللواء المدرع الإسرائيلى على طريق العوجة - «أبو عجيلة» بينما تقدمت كتيبة الدبابات المستقلة عبر وادى الجميل الذى يخترق مكسر الفناجيل، وكان اللواء المشاة فى النسق الثانى لمجموعة العمليات.

فشل الهجوم الأول لكتيبة الدبابات المستقلة، ونجحت القوات المصرية فى الباطور فى صده ثم نجح الهجوم الثانى بمعاونة القوات الجوية الإسرائيلية فى

الاستيلاء على موقع الباطور حوالى الساعة ١٦٠٠ ، فى الوقت نفسه قامت قوة من اللواء المدرع الإسرائيلى بقطع طريق أم قطف ـ القصيمة ، وفى الساعة ٢٠٣٠ تم إبرار كتيبة مظلات إسرائيلية شمال تقاطع «أبو عجيلة» قامت بالهجوم على مجموعة المدفعية المصرية التى تعاون قوات أم قطف ، وتمكنت من إسكاتها .

حوالى الساعة ٢٣٠٠ وبعد إسكات المدفعية المصرية قامت كتيبة الدبابات المستقلة بالهجوم على مواقع الكتيبة ٣٥٢ المشاة فى منطقة سد الروافعه ، فى الوقت الذى بدأ اللواء المشاة الإسرائيلى فى الهجوم على مواقع أم قطف من الشمال .

باستغلال نجاح كتيبة الدبابات المستقل واللواء المشاة فى اقتحام مواقع سد الروافعه وأم قطف ؛ لتفوق القوات الإسرائيلية على المصرية فى القتال الليلى ، قام اللواء المدرع الإسرائيلى بالاختراق الرئيسى للدفاعات ، وتمكن بعد قتال عنيف من الاستيلاء على منطقة «أبو عجيلة» بالكامل فى الساعة ١٠٢٠ يوم ٦ يونيو ، وقامت المجموعة بتأمين دفع لواء مدرع من مجموعة العمليات الوسطى فى اتجاه جبل لبنى .

الهجوم على القصيمة:

حوالى الساعة ١٣٣٥ يوم ٥ يونيو ، بدأت القوات الإسرائيلية الهجوم على القصيمة لتثبيت دفاعاتها ، ومنعها من التدخل فى المعركة أثناء الهجوم الرئيسى فى أم قطف ، وفى صباح ٦ يونيو وبظهور بوادر نجاح الهجوم الإسرائيلى على أم قطف و«أبو عجيلة» بدأ هجوم المدرعات والمشاة الميكانيكية الإسرائيلية ، وصمدت القوات المصرية فى موقع مطامر ، وتمكنت من صد الهجوم الإسرائيلى مرتين .

وقد انسحبت قوات القصيمة فى الساعة ٢٠٠٠ يوم ٦ يونيو بناء على قرار قائد المنطقة العسكرية الشرقية بالانسحاب .

الهجوم على الكونتلا:

كانت مهمة القوات المصرية وهى الفرقة ٦ المشاة عدا اللواء ٣ المشاة ومعها اللواء

١ المدرع المستقل واللواء ١١٣ المشاة المستقل هى تأمين المحور الجنوبى، وقد خصصت للواء ١ المشاة عدا كتيبة من الفرقة ٦ المشاة واللواء ١١٣ المشاة المستقل واللواء ١ المدرع المستقل مهمة التمسك بمنطقة الكونتلا، وتدمير العدو ومنعه من الاختراق.

فى الساعة ١٢٠٠ يوم ٥ يونيو شنت كتيبة مشاة ميكانيكية وكتيبة دبابات من قوات التثبيت الإسرائيلية هجومًا جنوب جبل الكونتلا، وتمكن اللواء ١١٣ المشاة بمعاونة مجموعة مدفعية الفرقة ٦ المشاة من صد الهجوم، وعند ارتداد القوات الإسرائيلية شرقًا قام اللواء ١ المدرع المستقل بقيادة العقيد لطيف بمطاردة القوات الإسرائيلية المرتدة لمسافة ١٥ كيلومتر فى اتجاه جبل هوجن داخل إسرائيل، إلا أنه توقف وارتد داخل الدفاعات بناءً على أوامر قائد الفرقة ٦ المشاة.

وفى الساعة ١١٠٠ يوم ٦ يونيو حرك العدو بعض دباباته على طول المواجهة أمام مواقع اللواء ١١٣ المشاة المستقل بهدف الأشغال، فأجبرتها نيران وحدات المدفعية وكتيبة دبابات اللواء على الارتداد شرقًا.

ورغم استقرار الأوضاع الدفاعية فى قطاع الكونتلا، إلا أن قائد الفرقة ٦ المشاة أصدر أوامره إلى قائد اللواء ١١٣ المشاة المستقل فى الساعة ١٥٠٠ يوم ٦ يونيو بإخلاء منطقة الكونتلا اعتبارًا من الساعة ٢٠٠٠ يوم ٧ يونيو، والارتداد إلى منطقة التمد، كما أصدر أوامره إلى قائد اللواء ١ المدرع المستقل بتأمين ارتداد وحدات الفرقة السادسة المشاة إلى التمد ليلة ٦/ ٧ يونيو، وفى الساعة ١٩٠٠ أمر قائد المنطقة العسكرية الشرقية، بتحرك اللواء ١ المدرع المستقل إلى نخل، وفى الساعة ١٩٣٠ يوم ٦ يونيو ارتدت قيادة الفرقة ٦ المشاة من منطقة الكونتلا، وأعقبها ارتداد اللواء ١ المدرع المستقل فى الساعة ٢٠٤٠ ليلة ٦/ ٧ يونيو.

القتال على النطاق الدفاعى الثانى:

فى الساعة ١١٣٠ يوم ٦ يونيو أصدر المشير عبد الحكيم عامر قرارًا بالتمسك بالنطاق الدفاعى الثانى، وتجميع القوات المرتدة من النطاق الدفاعى الأول لتدعيم النطاق الثانى.

فى الساعة ١٢٠٠ يوم ٦ يونيو تقدم لواء مدرع إسرائيلى من كل من مجموعتى العمليات الشمالية والوسطى فى اتجاه جبل لبنى للهجوم على دفاعات الفرقة الثالثة

المشاة، وفى الساعة ١٦٠٠ يوم ٦ يونيو بدأت معركة جبل لبنى بالالتفاف حول دفاعاتها من اتجاهين، وتمكنت القوات المصرية من صد الهجوم فى البداية إلا أن صدور أمر الانسحاب فى الساعة ١٧٠٠ من اليوم نفسه، أدى إلى اهتزاز الدفاع لارتداد بعض القوات، وقد حاولت المدرعات الإسرائيلية حصار القوات المصرية وقطع طرق ارتدادها، فتقدم لواء مدرع إسرائيلى فى اتجاه تقاطع كم ١٦١، واشتبك معه اللواء ١٤ المدرع المستقل فى معركة عنيفة، وكبده خسائر فادحة، واضطره إلى الارتداد، وهو ما سيأتى ذكره بالتفصيل فى القسم الثالث من هذا الباب، ثم قام طيران العدو بالهجوم على اللواء ١٤ المدرع المستقل أثناء انسحابه تنفيذًا لأمر الانسحاب، وأحدث به خسائر كبيرة فى الدبابات والعربات، ونجح اللواء فى الارتداد غربًا على الطريق الأوسط فى الساعة ٢٠٠٠ يوم ٦ يونيو، وفى الوقت نفسه تمكن العدو من الاستيلاء على جبل لبنى وعلى المطار القريب منه، وأخذت القوات المصرية الموجودة على النطاق الدفاعى الثانى فى الانسحاب غربًا دون أى نظام.

أعمال قتال الفرقة ٤ المدرعة:

فى الساعة ١١٣٠ يوم ٥ يونيو تلقى قائد الفرقة ٤ المدرعة اللواء صدقى الغول أمرًا من مركز القيادة الرئيسى بالاستعداد للقيام بالضربة المضادة فى اتجاه المطلة أواتجاه القصيمة ـ نخل، ونظرًا لسيطرة الطيران الإسرائيلى على سماء المعركة فقد تحرك اللواء ٢ المدرع من الفرقة الساعة ٠٢٠٠ يوم ٥ يونيو لتأمين دفع الفرقة ٤ المدرعة جنوب المطلة، وكان الوقت قد أصبح متأخرًا جدًا بعد اختراق النطاق الدفاعى الأول مما دعا القيادة العليا للقوات المسلحة إلى إلغاء هذه المهمة، وحوالى الساعة ٠٩٠٠ يوم ٦ يونيو أصدر قائد الفرقة ٤ المدرعة أوامره بعودة اللواء ٢ المدرع إلى بير تمادة، وقد تعرض اللواء أثناء التحرك للقصف الجوى المعادى من الساعة ١٢٢٠ حتى الساعة ٢٠٠٠، حتى وصلت خسائر اللواء إلى حوالى ٤٠ ٪ من المعدات بنهاية اليوم.

وبناء على قرار القيادة العليا للقوات المسلحة أمر قائد المنطقة الشرقية الفرقة ٤ المدرعة باحتلال منطقة دفاعية فى المضايق صدر الحيطان ـ الجدى ـ المليز ـ الختمية،

وأصدر أوامره إلى قائد الفرقة شخصيّا بتنفيذ المهمة ليلة ٦/ ٧ يونيو، و فى الساعة ٢٠٣٠ أصدر قائد المنطقة الشرقية أمرًا إلى قائد الفرقة ٤ المدرعة باحتلال المداخل الشرقية للمضايق حتى الساعة ١٢٠٠ يوم ٧ يونيو لستر انسحاب القوات، وأنه سيتم تدبير مظلة جوية لستر ارتداد الفرقة بناءً على أوامر المشير عبد الحكيم عامر.

فى الساعة ٠١٠٠ يوم ٧ يونيو تم انتقال مركز القيادة المتقدم للمنطقة الشرقية من جبل الميثان إلى المركز التبادلى فى جبل أم خشيب.

المرحلة الثانية (٧، ٨، ٩ يونيو):

التقدم للاستيلاء على المضايق وحجز القوات المنسحبة شرقها:

فى أول ضوء يوم ٧ يونيو تمكن اللواء ٢ المدرع من الفرقة ٤ المدرعة من احتلال مواقعه على طريق الجدى؛ لستر انسحاب القوات، فى الوقت الذى ارتد فيه كل من اللواء ٣ المدرع واللواء ٦ المشاة الميكانيكى إلى القناة الساعة ٠٩٠٠ حيث اتضح فيما بعد أن أوامر قائد الفرقة ٤ المدرعة كانت الدفاع التعطيلى فقط، وليس التمسك بالمضايق كما كانت أوامر القيادة العامة تقضى لستر انسحاب القوات.

مع الساعات الأولى من يوم ٧ يونيو تقدم لواء مدرع ولواء مشاة ميكانيكى إسرائيليان من مجموعة العمليات الشمالية فى اتجاه بئر الجفجافة؛ لقطع طريق انسحاب القوات المصرية فى اتجاه الإسماعيلية، بينما تقدم لواء مدرع من مجموعة العمليات الوسطى فى اتجاه ممر متلا؛ لقطع طريق انسحاب القوات المصرية فى اتجاه السويس، وفى الوقت نفسه تقدمت مجموعة العمليات الجنوبية من القصيمة، وبدأت فى مطاردة القوات المنسحبة.

تمكن اللواء المدرع الإسرائيلى من الاستيلاء على منطقة بئر الحمة عند الفجر واستمرت مجموعة العمليات الشمالية فى الهجوم فى اتجاه بير جفجافة، حيث اصطدمت باللواء ٣ المدرع من الفرقة ٤ المدرعة الذى كان يدافع فى منطقة مضيق جبل الختمية على الطريق الأوسط، وبعد قتال عنيف للتمسك بتقاطع الطرق فى منطقة الجفجافة تمكنت القوات الإسرائيلية من الاستيلاء عليه بعد انسحاب اللواء ٣ المدرع، وبذلك تم قطع طريق انسحاب القوات المصرية، كما أدى انسحاب اللواء ٦

المشاة الميكانيكى الذى كان مكلفًا بالدفاع عن مضيق الجدى وصدر الحيطان وممر متلا إلى تسهيل مهمة مجموعتى العمليات الوسطى والجنوبية فى الاستيلاء عليها وقطع طرق انسحاب القوات المصرية على محورى الجدى و متلا .

فى الساعة ٠٦٣٠ يوم ٧ يونيو نجحت المفرزة الإسرائيلية المتقدمة على المحور الساحلى فى الاستيلاء على مضيق مزار ، بينما نجح اللواء المدرع الإسرائيلى لمجموعة العمليات الوسطى فى قفل ممر متلا فى آخر ضوء يوم ٧ يونيو بعد معركة قصيرة مع القوات المصرية المنسحبة بدون نظام أو سيطرة وبلا حماية جوية .

باستيلاء مجموعة العمليات الجنوبية على منطقة نخل مساء ٧ يونيو قامت بعمل كمين لقوات الفرقة ٦ المشاة واللواء ١ المدرع المستقل المرتدة غربًا ، فكبدتها خسائر فادحه ، وبانتهاء مساء يوم ٧ يونيو كانت إسرائيل قد استولت على شرم الشيخ وبذلك تم فتح مضيق ثيران للملاحة الإسرائيلية .

فى الساعة ١٧٥٠ يوم ٦ يونيو تلقت قوات شرم الشيخ الأمر بالانسحاب إلى غرب القناة ، وقد انسحبت قوات شرم الشيخ فى ليلتين على مرحلتين ؛ إذ تم الانسحاب إلى الطور فى المرحلة الأولى ثم إلى السويس فى المرحلة الثانية ، ووصلت القوات السويس ليلة ٧/ ٨ يونيو ، حيث كلفت بالدفاع عنها .

أعمال الفرقة ٤ المدرعة:

بصدور الأوامر بقيام الفرقة ٤ المدرعة باحتلال المضايق لستر انسحاب القوات المصرية من سيناء إلى غرب قناة السويس ، بذلت قيادة المنطقة الشرقية جهودًا مضنية لتوصيل هذه الأوامر إلى قائد الفرقة الذى كان قد عبر القناة ، ووصل إلى قيادة المنطقة فى الإسماعيلية ، وأبلغ عن عودة الفرقة إلى الغرب ، فأمره قائد المنطقة الشرقية بإعادة القوات إلى الشرق ؛ لاحتلال المضايق .

فى الساعة ٠٨٠٠ يوم ٨ يونيو أبلغت قيادة الفرقة ٤ المدرعة أن وحدات الفرقة قد احتلت مواقعها فيما عدا اللواء ٢ المدرع الذى كان فى طريقة للاحتلال .

فى الساعة ٠٨٥٥ بدأت مدرعات العدو فى الاشتباك مع وحدات الفرقة لمدة ساعتين ثم انسحب العدو للخلف وبدأ هجوم العدو الجوى على دبابات الفرقة مع

التركيز على اللواء٢ المدرع واللواء ٦ المشاة الميكانيكى، حيث تكبدا خسائر جسيمة فأصدر قائد الفرقة أمره بالانسحاب إلى غرب القناة فيما بين الساعة ١١٣٠ والساعة ١٢٠٠، ثم تحرك قائد الفرقة بعد ذلك إلى معبر جنوب البحيرات ثم الإسماعيلية.

خصصت قيادة المنطقة العسكرية الشرقية قوة من المشاة والصاعقة والدبابات والمدفعية احتلت مواقع دفاعية فى منطقة جلبانة؛ لإيقاف تقدم العدو الذى اخترق منطقة مزار على المحور الشمالى، وتمكنت القوة من إيقاف تقدم العدو من الساعة ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ يوم ٨ يونيو، ثم ارتدت القوة إلى غرب القناة قبل أول ضوء يوم ٩ يونيو، و تمكن العدو من الاستيلاء على القنطرة شرق حوالى الساعة ١٧٠٠ يوم ٨ يونيو، وواصل تقدمه حتى وصل إلى الضفة الشرقية للقناة مساء اليوم نفسه.

يوم ٨ يونيو تمكنت القوات الإسرائيلية من الاستيلاء على المداخل الشرقية لممرى الجدى ومتلا، وبالتالى تم حجز قسم كبير من القوات المنسحبة شرق الحائط الجبلى حيث تمكنت القوات الجوية الإسرائيلية من إحداث خسائر ضخمة بها بالتعاون مع القوات المدرعة والميكانيكية.

فى الساعة ١٧٠٠ يوم ٨ يونيو أصدر قائد المنطقة العسكرية الشرقية تعليمات بالدفاع بالقوات المرتدة على الضفة الغربية لقناة السويس.

وبانتهاء يوم ٨ يونيو كانت مقدمات القوات الإسرائيلية قد وصلت إلى الضفة الشرقية للقناة، وفى الساعة ٠٣٠٠ بعد منتصف ليلة ٨ / ٩ يونيو كانت تلك القوات تحتل تقريبًا كل الضفة الشرقية لقناة السويس والساحل الشرقى لخليج السويس، فى الوقت الذى كانت احتياطيات القوات الإسرائيلية تقوم خلال نهار ٩ يونيو بتدمير وأسر الآلاف من القوات المصرية المنسحبة تحت السيادة الجوية للقوات الجوية الإسرائيلية.

واستغلت القوات الإسرائيلية خروج الجيش المصرى عمليًا من الحرب، وقامت بالهجوم على سوريا، واحتلت هضبة الجولان، ثم احتلت الضفة الغربية لنهر الأردن ومدينة القدس وهى الأراضى الفلسطينية التى كانت تحت السيطرة الأردنية، وأعلنت إسرائيل أنها قد حصلت لأول مرة على حدود آمنة.

* * *

الفصل الثالث
معركة اللواء ١٤ مدرع مستقل

فى تمام الساعة الثالثة بعد ظهر يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ تسلمت الإشارة برفع درجات استعداد اللواء ١٤ مدرع مستقل إلى الحالة الكاملة ضمن جميع تشكيلات ووحدات القوات المسلحة، وكنت فى هذا الوقت قائداً لهذا اللواء المدرع المستقل (أى الذى لا يتبع فرقة مدرعة أو مشاة) وكان اللواء قد أتم تقريبا الاستعداد للتحرك إلى اليمن؛ لغيار اللواء ١٥ المدرع الذى كانت مقدمته قد وصلت إلى الهايكستب حيث كنا نتمركز اعتبارا من شهر نوفمبر ١٩٦٦ بعد عامين قضاهما اللواء فى منطقة بئر تمادا بسيناء.

وكانت مقدمه اللواء ١٤ مدرع مستعدة للتحرك إلى اليمن بحراً، وقد حدد يوم ١٧ مايو ١٩٦٧ لهذا التحرك الذى لم يتم لحسن الحظ، وفور وصول الإشارة بدأت إجراءات رفع درجات الاستعداد تتوالى طبقا للخطة الموضوعة التى كنا قد تدربنا عليها جيداً، ولا شك أن استعداد اللواء للتحرك إلى اليمن كان له أثر كبير فى ارتفاع الحالة الفنية والتدريبية للواء، وخلال ساعات كان قد تم استدعاء الضباط والجنود من الأجازات وتم تنفيذ جميع الإجراءات والأعمال، وأصبح اللواء جاهزاً للتحرك.

وفى صباح اليوم التالى حضر مدير المدرعات اللواء طلعت حسن على إلى معسكر اللواء بالهايكستب وأصدر تعليماته بالتحرك ليلة نفس اليوم (١٥/ ١٦ مايو) إلى منطقة جنيفه والاستعداد للعمل تحت قيادة المنطقة العسكرية الشرقية.

تحركات ومهام اللواء ١٤ مدرع مستقل قبل بدء الحرب (الخريطة رقم ١١):

التحرك الأول:

تم تحرك اللواء من الهايكستب بواسطة السكة الحديد والعربات ليلة ١٥ / ١٦

مايو وطوال يوم ١٦ مايو الذى بنهايته كان اللواء قد أعاد تمركزه شرق جبل جنيفه (فى قطاع الجيش الثالث الميدانى حاليًا)، بعد رحلة عبر خلالها طريق الإسماعيلية ثم وصلة «أبو سلطان» فايد وطريق المعاهدة.

التحرك الثانى:

بناءً على تعليمات قيادة المنطقة العسكرية الشرقية التى حملها العميد مختار الدسوقى، وبعد عدة ساعات فقط من وصول اللواء إلى منطقة تمركزه شرق جبل جنيفه، بدأ التحرك الثانى للواء إلى منطقة جبل لبنى على الطريق الأوسط فى سيناء، وهذه المرة كان التحرك على الجنزير، وعبر اللواءُ القناةَ من جنوب البحيرات خلال ليلة ١٦/ ١٧ مايو، واتجه شمالاً حتى الطريق الأوسط، ثم اتجه شرقًا على الطريق الأوسط، وقبل منتصف ليلة ١٧/ ١٨ مايو كان اللواء بكامل معداته فى منطقة التمركز الذى تم اختيارها (فى قطاع الفرقة ٢ مشاه) وبدأنا فى احتلالها قبل آخر ضوء يوم ١٧ مايو.

وبوصول اللواء إلى منطقة جبل لبنى، وضع اللواء تحت قيادة الفرقة ٣ المشاة التى لم تكن قد وصلت بعد، حيث وصلت يوم ٢٠ مايو، واحتلت النطاق الدفاعى الثانى، وكانت مهمة اللواء ١٤ مدرع مستقل هى تنفيذ الهجمات المضادة فى قطاع الفرقة ٣ المشاة وبالتعاون مع وحداتها، وتم فعلا استطلاع اتجاهات الهجمات المضادة ووضع القرارات المناسبة لها، وأتاح الوقت الذى أمضاه اللواء فى هذه المنطقة الفرصة الكافية؛ لإتمام إجراءات تنظيم المعركة كاملة لكل المستويات ولعدد ١٢ هجمة مضادة.

وارتفعت معنوياتنا كثيراً عندما وصلتنا التعليمات باستكمال اللواء إلى ٩٤ دبابة بدلاً من ٦٧ دبابة، وتم تشكيل مجموعة من الضباط الفنيين وأفراد الاحتياط لاستلام الدبابات من المخازن والعودة بها إلى اللواء.

التحرك الثالث ومهمة أخرى:

فى تمام الساعة السادسة من مساء يوم ٢٦ مايو تلقيت تعليمات قيادة المنطقة

الشرقية بالتحرك إلى منطقة الشيخ زويد علي طريق العريش رفح، والانضمام إلى الفرقة ٧ المشاة المكلفة بالدفاع على الاتجاه الشمالي بقيادة اللواء عبد العزيز سليمان، واعتبارًا من صباح يوم ٢٧ مايو بدأ اللواء ١٤ مدرع مستقل التحرك على الجنزير، وقبل أخر ضوء من نفس اليوم أتم اللواء تمركزه حول أتله أبى العقيق، وتلخصت المهمة المكلفة بها الفرقة ٧ المشاة ومعها اللواء ١٤ مدرع مستقل فى تأمين منطقة رفح بقوة اللواء ١٦ المشاة، والاستعداد بباقى القوات لتنفيذ عملية هجومية محدودة على المستعمرات الإسرائيلية فى مواجهة رفح وجنوبها وفى العمق طبقًا لمدى نجاح الهجوم الأولى.

وارتفعت معنويات الضباط والأفراد إلى السماء، وانهمك الجميع فى التجهيز للمهمة الهجومية بجدية ونشاط، وتم تنفيذ إجراءات التنظيم للمعركة، وتم استطلاع أهداف المهمة الأولية.

ولكن فى الساعة ٢٠٠ يوم ٢٩ مايو ألغيت المهمة الهجومية، وتحولت مهمة الفرقة ٧ المشاة إلى الدفاع عن منطقة رفح، وكان على اللواء ١٤ مدرع مستقل القيام بالهجمات المضادة فى قطاعها؛ لتدمير العدو الذى ينجح فى اختراق الدفاعات.

ومرة أخرى قامت هيئة قيادة اللواء والقادة على جميع المستويات باستطلاع اتجاهات الهجمات المضادة، وإعداد القرارات اللازمة لها، واستكمال تنظيم المعركة حتى مستوى قادة الدبابات والسائقين، وبنهاية يوم ٣١ مايو كان اللواء مستعدًا لتنفيذ المهام الجديدة في قطاع الفرقة ٧ المشاة، ونجحت مع هيئة القيادة في استعادة الروح المعنوية التى أصابها الإحباط من التحول من المهام الهجومية البراقة والملهمة لفكر قائد المدرعات إلى المهام الدفاعية التي تحدها الخطوط والشروط والتداخلات ولو كانت ذات طبيعة هجومية، كالهجوم المضاد الذى يعنى أن الدفاعات الأمامية قد اخترقت وعلينا استعادتها، وهو أمر محبط منذ البداية.

التحرك الرابع ومهمة جديدة:

لم يكد اللواء ١٤ مدرع مستقل يتم تنظيم المعركة لمهامه فى قطاع الفرقة ٧ المشاة المكلفة بالدفاع عن الاتجاه الشمالى حتى صدرت تعليمات جديدة يوم ١ يونيه

بالتحرك إلى منطقة الحسنة على الاتجاه الأوسط، والعمل ضمن قوات النطاق الدفاعى الثانى.

وبعد الخبرة السابقة فى التحركات المفاجئة على الجنزير لم يجد اللواء عناءً كبيراً فى أن يعيد تمركزه فى منطقة الحسنة، ولكن هذه المرة أصبح لدينا ٩٤ دبابة بدلاً من ٦٧ دبابة، وبنهاية يوم ٢ يونيه كان اللواء بمنطقة تمركزه الجديدة مكلفًا بالعمل كاحتياطى تعبوى بالتعاون مع اللواء ١١٢ المشاة المستقل؛ لتنفيذ عدة ضربات مضادة بالإضافة إلى الاستعداد للدفاع عن منطقة الحسنة والقضاء على قوات الإبرار الجوى فى المنطقة، ومرة أخرى أتم اللواء استطلاع اتجاهات الضربات وإعداد القرارات المناسبة لها، وأتم تنظيم المعركة، وأصبح اللواء مستعدًا لتنفيذ مهامه الجديدة من مكانه الجديد.

كلمة حق:

والحق يقال إن قادة وضباط اللواء ١٤ مدرع مستقل كانوا على أعلى مستوى من الكفاءة والرجولة والانضباط، وعلى مدى سنوات خدمتى كقائد لهذا اللواء نشأت بينى وبينهم علاقة حميمة كانت تربطنا جميعًا، رغم قسوتى عليهم فى العديد من المواقف، والطريف أن أكثرهم تعرضا لقسوتى كان ابنى النقيب طارق واصل (فى ذلك الوقت) وكان قائدًا لأحد سرايا الدبابات، وربما كان السبب فى نشأة علاقة الأسرة بينى وبين ضباط اللواء والتى امتدت إلى ضباط الصف والجنود، ربما كان السبب فى هذه العلاقة هو اقتناع الضباط بمنطق القسوة والحدة فى المحاسبة التى لم يكن لها غرض شخصى، وإنما هو الحفاظ على قوة اللواء كوحدة مقاتلة ترتكز على عنصرى الكفاءة الفنية والكفاءة التدريبية، وهما العنصران اللذان لم أكن لأقبل عذرًا فى أى إخلال بهما، وقد دعم اقتناع الضباط بهذا المنطق أن ابنى طارقًا كان أول من يطبق عليه أى أمر أو توجيه، ولم يكن فى أى لحظة مفضلاً عن أى فرد فى اللواء، وكان هو نفسه على قناعة تامة بهذا الموقف، وكان قدوة لزملائه بل إنه قد أنقذنى فى وسط المعركة بشجاعته وكفاءته، وهو ما سنعرضه فيما بعد، ولا يخفى على القارئ العزيز ما تعرضت له من ضغوط عائلية من جراء هذه السياسة التى أدت إلى تميز اللواء ١٤ مدرع مستقل فى تلك الفترة، الأمر الذى نتج عنه أن يكون اللواء هو أفضل وحدات القوات المسلحة فى عمليات ١٩٦٧، وأكثرها نجاحًا وأقلها خسائر وأكثرها إحداثا للخسائر فى القوات الإسرائيلية.

بدء الحرب وسير أعمال القتال:

بعد ظهر يوم ٤ يونيو تلقيت إشارة بضرورة تواجدى كقائد للواء ١٤ مدرع اعتبارًا من صباح يوم ٥ يونيه فى مطار تماده؛ لاستقبال المشير عبد الحكيم عامر، ولقد شعرت بالضيق من هذه الإشارة، حيث كنت مشغولاً مع قادة وضباط اللواء فى استطلاع خطوط الضربات المضادة المكلف بها اللواء مع اللواء ١١٢ مشاة المستقل، واستكمال الخطوط النهائية للقرارات على هذه الخطوط، ولكن لم يكن هناك بد من طاعة الأوامر فأنا - قائد اللواء ١٤ مدرع مستقل - هو قائد الاحتياط التعبوى رقم ٢، وبالتالى لابد أن أكون فى استقبال نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة أسوة بقادة الفرق وقادة المنطقة الشرقية... إلخ، وهو بروتوكول متعارف عليه، ولكن هل كان من الضرورى الالتزام به فى هذه الظروف.

وتركت المهمة لرئيس أركان اللواء العقيد على عرفة لقيادة استطلاع أحد خطوط الضربات المضادة، وتوجهت صباح يوم ٥ يونيو إلى مطار تماده.

وفى تمام الساعة ٠٨٤٥ صباح يوم ٥ يونيو، ونحن فى انتظار طائرة المشير عبد الحكيم عامر، ظهرت الطائرات الإسرائيلية وقامت ٣ طائرات بالهجوم على مطار تماده، وألقت قنابل الدخان لتعليم حدود المطار، ثم هجمت طائرات أخرى ونجحت فى تدمير جميع الطائرات، وهى مصطفة على أرض المطار.

وكتبت فى نوته سرية كانت معى « قامت الحرب وخسرنا الحرب ».

وعدت إلى اللواء على وجه السرعة والطائرات الإسرائيلية تعبر فوقى، الموجة تلو الأخرى، متجهة غربًا إلى القواعد الجوية والمطارات المصرية، وفى خلال أقل من ٣ ساعات كانت قواتنا الجوية قد خرجت من المعركة، وأصبحت القوات البرية فى سيناء والقوات البحرية فى البحرين الأحمر والمتوسط، بدون غطاء جوى، ويالها من بداية للحرب.

وعندما وصلت إلى اللواء وجدت القوات فى أوضاعها، وقد قام اللواء تحت قيادة العقيد على عرفة رئيس أركان اللواء بتنفيذ خطط الوقاية والإخفاء والتمويه بعد أن عرف بنشوب الحرب من رئيس أركان الفرقة ٣ المشاة، فقمت باحتلال مركز القيادة وبدأت فى متابعة التقارير والبلاغات عن أعمال قتال الأنساق الأولى.

وبعد اختراق العدو لدفاعات الفرقة ٧ المشاة التى قاتلت ببسالة فى منطقة رفح تحت السيادة الجوية الإسرائيلية على سماء المعركة، وفى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ٥ يونيو أبلغنى قائد اللواء ١١٢ مشاة بأنه قد خرج من تجميع الاحتياطى التعبوى رقم ٢ وكلف بمهمة هجوم مضاد بالتعاون مع اللواء ١٤١ مدرع؛ لاسترداد مدينة العريش التى كانت قد سقطت، وبذلك أصبح اللواء ١٤ مدرع مستقل هو الاحتياطى التعبوى رقم ٢ منفردا، ويدعم عند دفعه ببعض وحدات المدفعية ويؤمن عند دفعه بعدد آخر من وحدات المدفعية، وكما ورد بنص تعليمات المنطقة، الشرقية العسكرية «يؤمن دفع اللواء ١٤ مدرع مستقل بما لا يقل عن عدد (كذا كتيبة)» ويتراوح الرقم طبقا لخط الضربة المضادة .

وفى الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ٥ يونيو كلف اللواء باحتلال خط صد دبابات العدو ضمن قوة الستارة المضادة للدبابات، والتى كانت مجهزة لإغلاق محاور التحرك القادمة من جنوب القصيمة . وبعد استطلاع المنطقة وتخصيص المهام بدأت كتائب الدبابات رقم ٢٠٠ ورقم ٢٠١ فى الوصول إلى الخط والاحتلال الذى تم فعلا بعد منتصف الليل بساعتين، وكانت الكتيبة ٢٠٣ دبابات على وشك الاحتلال عندما وصلت إشارة جديدة من قيادة المنطقة الشرقية بتكليف اللواء بالتحرك فوراً لتوجيه ضربة مضادة لاستعادة الموقف فى خط أم قطف ـ «أبو عجيلة» تحت ستر مظلة جوية، وكلفت الكتيبة ٢٠٣ دبابات بتغيير اتجاهها والعمل كقوة متقدمة للواء ودعمتها بكتيبة مدفعية، وبدأت الكتيبة تحركها فى تمام الساعة الرابعة من فجر يوم ٦ يونيو فى اتجاهها إلى الحسنة، ثم فى اتجاه «أبو عجيلة» .

وفى الوقت نفسه بدأت باقى كتائب اللواء فى الخروج من مواقعها فى خط الصد والتجمع وفى وادى العريش فى قولات والتحرك فى اتجاه «أبو عجيلة» .

وفى الساعة السادسة من صباح يوم ٦ يونيو وصلت القوة الرئيسية للواء إلى تقاطع الحسنة، وهناك تعرض لأول هجوم جوى بالطائرات الإسرائيلية التى كانت تقصف مركز القيادة المتقدم للمنطقة الشرقية العسكرية فى الحسنة .

وبسرعة قمت بإصدار الأوامر بالتحرك خارج الطريق، ومع تنفيذ اللواء لهذا الأمر تكونت سحب كثيفة من الغبار مما أدى إلى عدم فاعلية الهجوم الجوى وأصيبت دبابة واحدة أثناء توقفها لإصلاح عطل فنى بها .

وفى الوقت نفسه أصدرت أوامرى للرتل الإدارى للواء بعدم التحرك من التجهيزات الهندسية فى منطقة الحسنة حتى لا يتعرض للطيران الإسرائيلى المسيطر على سماء المعركة.

المهمة الأخيرة (الخريطة رقم ١٢):

أثناء تقدم اللواء وصل الساعة ٠٧٠٠ ضابط اتصال من قيادة الفرقة ٣ مشاة وأبلغنى بسقوط «أبو عجيلة» وصدور الأوامر باحتلال النطاق الدفاعى الثانى على الخط العام العريش ـ جبل لبنى ـ الحسنة، كما أبلغنى أن مهمة اللواء ١٤ مدرع هى التمركز خلف النطاق الدفاعى الثانى للقيام بالضربات المضادة فى اتجاه شمال أو جنوب جبل لبنى، ومرة أخرى أصدرت أوامرى باحتلال منطقة التمركز المحددة وكانت من حسن الحظ هى نفسها أول منطقة احتلها اللواء يوم دخوله إلى سيناء يوم ١٧ مايو أى قبل حوالى ٣ أسابيع.

وقامت الكتائب باحتلال المنطقة، ودخلت الدبابات إلى حفرها القديمة، وتم إجراء الإخفاء والتمويه تحت هجوم جوى مستمر للطيران الإسرائيلى لم يسفر عن خسائر مؤثرة.

وكانت مهمة اللواء الساعة ١١٠٠ يوم ٦ يونيو هى الاستعداد لتوجيه الهجمات المضادة لتدمير العدو الذى يمكن إيقافه أمام قوات النطاق الدفاعى الثانى شمال جبل لبنى أو الاحتلال؛ لتكثيف الدفاع عن النطاق الدفاعى الثانى.

الموقف العام فى أرض المعركة:

الساعة ١١٠٠ صباح يوم ٦ يونيه كانت الدبابات قد قطعت أكثر من ٩٠٠ كم على الجنزير، وأصبحت فى حاجة ماسة إلى صيانة وقائية بالإضافة إلى أن الدبابات التى تم استكمال اللواء بها إلى ٩٤ دبابة بدلاً من ٦٧ دبابة كانت تعانى من بعض المشاكل الفنية، علاوة على عدم تدريب أطقمها المشكلة من الاحتياطى المستدعى على هذا النوع، أما الاحتياجات الإدارية للواء فكانت لاتزال فى الحفر فى الحسنة ولا يمكن تحركها قبل دخول الليل حتى لا تدمرها الهجمات الجوية الإسرائيلية، وكان الجميع فى حالة إرهاق شديدة وانخفاض حاد فى الروح المعنوية.

وكان كل ما تيسر من معلومات عن العدو أنه قد احتل منطقة «أبو عجيلة» ويتقدم على الطريق الأوسط كما أنه قد نجح فى صد وتدمير الهجوم المضاد الذى قام به اللواءان ١١٢ المشاة و ١٤١ المدرع فى منطقة بير لحفن، وعدا ذلك فلا معلومات عن قوة العدو أو اتجاهاته أو أعماله المحتلة.

وفى الأمام كان اللواء ١١٤ مشاة يحتل مواقع دفاعية من جبل الحلال حتى جبل لبنى، ولايوجد اتصال معه أما باقى النطاق الدفاعى الثانى فكان غير محتل.

وكان الموقف غاية فى الخطورة، فالعدو ناجح ويتقدم، والمعلومات عنه لا تكفى لاتخاذ القرارات، والوقت المتبقى على المعركة لا يزيد عن بضع ساعات، وكان لعملنا الجاد فى اتخاذ القرارات للمهام السابقة الفضل فى سرعة وضع القرار المناسب وتخصيص مهام أولية للوحدات، وقمت بدفع «٢» دوريتى استطلاع واحدة على جبل لبنى والأخرى فى منطقة مطار السر بالقرب من طريق العريش الحسنة.

ولم يمض وقت طويل حتى أبلغت دورية استطلاع جبل لبنى الساعة ١٥٤٠ عن مشاهدتها لأعداد كبيرة من الدبابات الإسرائيلية تقوم بالالتفاف من شمال جبل لبنى واتخذت قرارى بقيام الكتيبة ٢٠٣ دبابات باحتلال قاعدة نيران؛ لصد العدو، ثم توجيه ضربة بالقوة الرئيسية للواء من كلا الجانبين؛ لتدمير قوة العدو المتقدمة.

وبالفعل تم احتلال قاعدة النيران تحت أشراف رئيس أركان اللواء الساعة ١٦١٥ وبدأ العدو فى فتح نيران مدفعياته على قاعدة النيران اعتبارًا من الساعة ١٦٣٥ وحتى الساعة ١٦٤٥.

ومع بدء العدو فى الفتح إلى تشكيل المعركة بدأ تدخل مدفعيه اللواء بالضرب على أرتاله لمدة ١٥ دقيقة بدءًا من الساعة ١٦٤٥، وبدأ العدو فى فتح نيران دباباته أثناء التحرك، ولكنها لم تكن بالدقة الكافية، فلم تؤثر فى الدبابات المتقدمة للواء، وفى الوقت نفسه تمت السيطرة على نيران الدبابات وبدخول دبابات العدو فى المرمى المؤثر، وكان عددها ٣٥ بدأنا فى فتح النيران فجأة على العدو وفى دقائق كان العدو قد خسر ١٦ دبابة، وأثناء محاولته للمناورة على جانب اللواء أصيبت له ١١ دبابة أخرى، وتوقف العدو بعد أن أصاب لنا دبابتين وبدأ فى قصف مواقعنا بالمدفعية، وقام بعمل ستارة دخان؛ لستر ارتداد دباباته خارج المدى المؤثر لدباباتنا.

وفى هذه الأثناء أصيبت، كما أصيب قائد كتيبة قاعدة النيران المقدم خورشيد وأخلى للخلف، وبمبادرة من أحد قادة السرايا فى الكتيبة ٢٠٣ دبابات قام بمطاردة العدو أثناء ارتداده، ومع إبلاغ القيادة بالموقف أمر قائد المنطقة الشرقية بتعيين رئيس الأركان قائداً للواء وعدم التورط فى المطاردة، وبالتالى أُصدرت الأوامر بعودة السرية التى كانت تطارد العدو، وبدأ الطيران الإسرائيلى فى قصف مواقعنا فأصابوا لنا دبابة واحدة فقط بفضل التجهيز الهندسى الجيد لحفر الدبابات، وكفاءة وشجاعة رجال الدفاع الجوى باللواء.

وبالتالى ركز العدو هجومه الجوى على كتيبة الدفاع الجوى للواء، وأمكنه أن يسكتها بعد أن نفدت ذخيرتها، وقام بضربها بقنابل النابالم، واستشهد العديد من ضباط وجنود الكتيبة محترقين داخل مدافعهم ذاتية الحركة.

ومرة أخرى حاول العدو فتح الطريق الأوسط حيث قام بالالتفاف على الجانب الأيمن للواء، فتصدت له الكتيبة ٢٠١ دبابات، ودمرت له ٩ دبابات، فأضطر إلى تغيير اتجاه تحركه فى اتجاه الحسنة، وانتشر داخل معسكر قديم خارج مدى دباباتنا، ومرة ثالثة حاول العدو اختراق تشكيل اللواء، ونجحت الساعة ١٨٥٠ مجموعة صغيرة من الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات فى التسلل فى الفاصل بين الكتيبة ٢٠١ دبابات والكتيبة ٢٠٣ بب، ووصلت فعلا إلى مشارف مركز قيادة اللواء واشتبكت معها دبابة قائد اللواء وسرية الرشاشات المضادة للطائرات بالضرب الأرضى، وتمكنوا من أصابة دبابة معادية، بينما تمكنت دبابات العدو من تدمير سرية الرشاشات ونجحت سرية دبابات من الكتيبة ٢٠٠ دبابات التى تعمل احتياطى للواء فى إنقاذ قيادة اللواء وتدمير باقى الدبابات المهاجمة وعربتين صواريخ مضادة للدبابات.

وفى الساعة ١٩١٥ تم اكتشاف أعداد كبيرة من الدبابات متجهة من الشمال إلى الجنوب غرب جبل لبنى، وبدأت فى الانتشار فى المنطقة، ولم يمر وقت طويل حتى بدأت سرية دبابات فى الالتفاف حول الجانب الأيسر للواء فى محاولة لفتح طريق التحرك إلى محور وادى المساجد شمال مجموعة جبال المغارة، بدلا من الطريق الأوسط ولكن نيران المدفعية بالضرب المباشر ونيران الكتيبة ٢٠٠ دبابات تمكنت من

تدمير ٤ دبابات للعدو الذى اضطر للانسحاب شرقًا تحت ستر المدفعية، وبعد أن تمكن من إصابة ٥ دبابات بالصواريخ المضادة للدبابات.

وفى هذه الأثناء أصيبت دبابة قائد اللواء بصواريخ مضادة للدبابات، واحترقت وفى الساعة ٢٢٤٥ تمكن رئيس شئون إدارية اللواء من الاتصال باللواء، وأبلغ أن قيادة المنطقة الشرقية قد انسحبت إلى الإسماعيلية اعتبارًا من الساعة ١٨٣٠ ، وأن هناك أمرًا عامًا بالانسحاب، فقمت بجمع القادة، ونظمت عملية الانسحاب على أساس التمسك بمضيق الختمية كما كانت تقضى الخطة الدفاعية الأصلية، ولم نتمكن بالطبع من إبلاغ هذا القرار إلى القيادة لانقطاع الاتصال.

وبدأ اللواء فى الانسحاب اعتبارا من الساعة ٠١٣٠ يوم ٧ يونيو (ليلة ٦/ ٧ يونيه) وعندما وصلت طلائع اللواء إلى منطقة الجفجافة قابلت سرية دبابات من الفرقة ٤ المدرعة، وعلمنا أن الفرقة قد بدأت انسحابها إلى غرب القناة اعتبارًا من مساء يوم ٦ يونيو.

وواصل اللواء تقدمه على الطريق الأوسط تحت ستر نيران المدفعية التى كانت تعاون كتيبة المؤخرة التى كان العدو يضغط عليها بينما يواصل اللواء تقدمه.

واعتبارًا من صباح يوم ٧ يونيو بدأ الطيران الإسرائيلى فى مهاجمة رتل اللواء بكثافة شديدة وتمكن من تدمير ٣٤ دبابة وعربة قيادة بالإضافة إلى كتيبة المدفعية وعدد كبير من العربات القتالية والإدارية.

ووصل اللواء فى النهاية إلى القناة، وتمكن من العبور إلى الغرب بما تبقى من دباباته وعرباته بعد أن ترك العشرات منها محترقة ومدمرة على طريق الانسحاب .

الفرصة والنتيجة:

لقد أتاحت الظروف للواء ١٤ مدرع مستقل أن يقاتل، وأن ينفذ ما تعلمه ضباطه وجنوده من فنون القتال بمفرداتها المتعددة، ولذلك نجح اللواء فى تنفيذ ما كلف به من مهام حتى المعركة الأخيرة التى دخلها اللواء تحت ظروف السيادة الجوية للجانب

المعادى، وكانت خسائر اللواء فى معركته ضد العدو القادم من الطريق الأوسط أو من اتجاه العريش طفيفة، ولا تقارن بما أحدثه من خسائر فى العدو، رغم تفوق العدو فى نوعية الدبابات خاصة التى كانت تهاجم من اتجاه الشمال، وتفوقه أيضا فى عنصر الصواريخ المضادة للدبابات التى كان لها الفضل فى تدمير عدد من الدبابات فى تلك المرحلة منها دبابتى فى قيادة اللواء.

ورغم وصول اللواء بمعظم قوته إلى غرب القناة إلا أن خسائره أثناء الانسحاب لم تكن من القتال مع دبابات العدو، وإنما كانت كلها من الهجمات الجوية التى تابعت اللواء أثناء عملية الانسحاب.

والسؤال الذى يبرز هنا والذى سأترك للقارئ الإجابة عليه:

ما الذى كان يمكن أن تكون عليه نتيجة حرب ١٩٦٧ لو لم يصدر قرار الانسحاب، وتمسكت التشكيلات والوحدات المشاة والدبابات والمدفعية بمواقعها وقام القادة بمهامهم فى قيادة القوات فى المعركة؟

هل كانت النتيجة ستكون هى ما سجله التاريخ على الجيش المصرى؟

أم كانت النتيجة ستكون مثل ما سجله التاريخ للواء ١٤ مدرع مستقل؟

* * *